ميزان فقد الأوزان

تكرر إحساسي بتسارع القلب والدوار.. يقفز خيالي الى أغوار سحيقة مـن رعـب خفي أن أعجز حماية ابنتي أو يتداركني موت مفاجئ في ذبحة صدرية قبـل أن أنجـز روايتي، فتصبح ابنتي في قبضة الأمير الجاهل وزوجته الغبية جمانا فاقدة الإحساس حتى بموت ابنها لتلد له البنين والبنات وترث من ثروة عائلته النصيب الأوفى بينما تكون ابنتي كالكرام على مائدة اللئام.. تقول لي نورا:

-ماما لماذا تسهرين طوال الليل؟ كلما استيقظت أرى النور في مكتبك مضاءا فماذا تفعلين؟

-عندي عمل يجب علي إنجازه، ولكن لم أنت تستيقظين في الليل؟

-لا أدري، أستيقظ وأفكر بجهاد ووسيم.. كان وجودهما يملأ حياتي، نلعب ونتشاجر ونتصالح، أما الآن فأنا وحيدة..

أعرف الآن سر كآبتي.. انني وحيدة أحارب أشـباحا غيـر منظـورين، يتكتلـون ويخططون وينفذون، يعيثون فسادا في بلادي ولا رادع لهم، يشترون الذمم ولا تطالهم يـد العدالة، يقلبون الحق باطلا والباطل حقا ويفلتو من العقاب.. السرية تحميهم، وأنـا مثـل الكثيرين لا أملك الدليل القاطع لإدانتهم..

قصت جناحا النسر العربي، وأنا مثل الكثيرين أبكيه في صمت حزين.. ماذا فعلت به السنون، هل ولّى به الزمن؟ هل صمت الى الأبد الطائر الذي جال يوما قمم الجبـال الى مسارح النجوم؟ ماذا بقي له من أمجاد؟

هزيمة تتوج بهالات النصر..

هزيمة السلام أمام الدبابات..

هزيمة التجارة أمام الربا والإحتكار..

هزيمة الشورى أمام الطغيان..

هزيمة العقل أمام التعصب..

هزيمة الحوار أمام العصا..

هزيمة الحقيقة أمام الدجل..

هزيمة الحلم الكبير أمام الواقع المر الرهيب..

لماذا أجلس الساعات أفكر فيما مضى وما يمر وما سيكون؟ لماذا لم أعـد أضـحك وأغني وأرى في كل ما يحيطني نعمى من السماء؟ لماذا لم أعد ألاحظ الندى كحبات لؤلؤ يغطي أوراق الشجر؟ لماذا لم أعد أسمع وشوشات البحر كعاشق ولهان؟ ولماذا لـم تعـد ترقبني أعين النجوم بحنان العناية الإلهية؟ هل تخلى الله عني؟ هل تخلى عن لبنان؟ هـل تخلّى عن الأمة العربية؟

كيف أشعر بالأمان وأنا أرى الأطفال، كبرياء الحياة وزينتها، يتزودون بالحجـارة يرمون بها ذئاب الأدغال؟ والشباب يتمنطقون بالمسامير ليتفجروا معها في أوكارها فوق التلال؟

ياشرورهذا العصر الكئيب، هل تجمعت غيوما سوداء لتمطري دما يغـرق أطفـال لبنان ، وأطفال فلسطين وأطفال العراق وأطفال العرب في كل مكان؟

تتسلّى نورا بمشاهدة شريط الفيديو على التلفزيون:

-ماما، لماذا تعاقب الملكة ساندريلا، وهي فتاة تحب الطيور وأنغام الموسيقى؟

-لأنها ساحرة شريرة؟

-ماما، لماذا يتزوج الملك ساحرة شريرة؟

-ما كان يعرف أنها كذلك.

-لماذا لم تخبره ساندريلا أنها تعاملها بقسوة؟

-لا تحب أن تزعج أباها.

-هل يحبها كما يحبني بابا؟

-طبعا.

-أنا مشتاقة لبابا.. لماذا لا يترك أعماله ويأتي للعيش معنا؟ أحب أن يرى رفـاقي أبي!.. أحب أن يصطحبني معه في سيارته!.. آباء رفاقي يأتون الى المدرسة ويصحبون أولادهم بسياراتهم..

وأصمت! خشيت أن تلاحظ نورا ما اعتراني من أسى ضاق به صدري، وخرجت مسرعة من الغرفة أكفكف دمعي، وأكبت آهاتي بنفس عميق، فأشعر بالهواء الذي أستنشقه ملوثا بدخان السيارات! أين أنا من الهواء النقي ، ومياه الينابيع العذبة في ذرى لبنان!